الحسن بن طلال



سين و جيم

قضايا معاصرة

مجلس الحسن
عمان - الأردن
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

اهداءات ٢٠٠٣

الأمير/ الحسن بن طلال

الأردن

سيـــن وجيـــم

قضايا معاصـــرة

الحسن بن طلال

سين وجيم

قضايا مُعاصِرة

مجلس الحسن
عمّان - الأردنّ
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الطّبعة الأولى

شعبان ١٤٢٤هـ - تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنيّة
(٢٠٠٣/١٠/٢١٣٤)

٣٢٠,٩٥٦
الحسن بن طلال
سين وجيم: قضايا معاصرة/ الحسن بن طلال.- عمّان:
مجلس الحسن، ٢٠٠٣.
(٨٧) ص.
ر.إ.: (٢٠٠٣/١٠/٢١٣٤).
الواصفات:/الأوضاع السّياسيّة//البلدان العربيّة/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتّصنيف الأوّليّة من قبل دائرة المكتبة الوطنيّة

ISBN 9957-419-03-x (ردمك)

مجلس الحسن
الدّيوان الملكيّ الهاشميّ
تلفون: ٤٦٤٤٤٠٧
ناسوخ (فاكس): ٤٦٣٤٧٥٥
عمّان - الأردنّ
E-mail: *majlis@majliselhassan.org*
URL: *www.elhassan.org*

طبع في الجمعيّة العلميّة الملكيّة
عمّان - الأردنّ

المحتويـــــــات

مُلاحظـــةُ النّاشـــر

وجّهت الكاتبةُ الصّحافيّة **سوسن حسين**، مستشارةُ تحرير مجلّة **السّياسة الدّوليّة** القاهريّة، الدّعوةَ إلى سموّ الأمير الحسن بـــن طـــلال – حفظَهُ اللهُ ورعاه – لأن يكونَ ضيْفَ باب "**لقاء العـــدد**" في هذه المجلّةِ الفصليّةِ الشّهيرة. وقد لبّى سموّه الدّعوة وأجابَ باستفاضة عن ٢١ سؤالاً وُجّه إليه.

ويحـــتوي هـــذا الكُتيّـــبُ على تلك الأسئلة وإجاباتِ سموّه عـــنها، كما نشرَتْها **السّياسة الدّوليّة** في عددها (١٥٤) الصّادر فـــي شـــهر تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠٠٣. وتشكّلُ إجاباتُ سموّه مُـــنطلقاً لـــنظرتِهِ العميقة وجانباً من فلسفتِهِ الجامعة إزاء بعض القضايا المعاصرة. من هنا جاء عنوانُ الكُتيّب.

النّاشـــر

مجلـــس الحـــسن

س١: إلــى أيّ مــدى كشفت تطوّرات الأزمة العراقيّة هشاشة النّظام الإقليميّ العربيّ؟ وما هي في رأي سموّكم الانطلاقــة الواجــبة لإعادة ترتيب هذا الــنّظام، خاصّــة أنّ أمّتنا العربيّة كُسِرت وذلّت بأيدي أبنائها قبل أيدي الطّامعين فيها؟

- هشاشــة الــنّظام الإقليمــيّ العربيّ كشفَتْها – قبل تطوّرات الأزمة العراقيّة بوقت طويل – تداعيات القضيّة الفلسطينيّة منذ عام ١٩٤٨، إنْ لم يكن منذ سايكس بيكو؛ كما كشفتها أحداث اليمن في بواكير السّتينيّات من القرن الفائت، وأحداث أخرى لا عدّ لها ولا حصر.

الانطلاقة الواجبة لإعادة ترتيب هذا النّظام تبدأ من إعــادة اكتشاف الصّالح العام. وأنا أغبط النّموذج الأوروبيّ والتّدرّج في التّوحّد على أساس المصالح

وتعظيمها. فلِمَ لا نتحدّث هنا عن الجوامع الإقليميّة، على غرار الجوامع العالَميّة؟ والأصل أنْ لا نبدأ من الصّفر؛ فهنالك عقد التّنمية، ودراسة الدّكتور سليم الحصّ حول ١٦ منظّمة عربيّة، وغير ذلك كثير من المبادرات الحكوميّة وغير الحكوميّة. ولا أنسى هنا مساهمات دارات الفكر العربيّة، مثل مركز دراسات الوحدة العربيّة ومنتدى الفكر العربيّ. كما لا أنسى الدّراسات العميقة التي نهضت بها مراكز الدّراسات المستقبليّة و"سيناريوهات ماذا لو". المهمّ، إذاً، المنطق التّراكميّ الذي تحقّق مثلاً للاتّحاد الأوروبيّ ولم يتحقّق لنا إلى الآن، حتّى في القمم العربيّة.

اسمحوا لي بجملة معترضة: يجب أنْ لا نبالغَ في جلد النّظام الإقليميّ العربيّ إزاء تطوّرات الأزمة

العراقيّة. فقد شاهدنا أيضاً ضَعْف الأنظمة والمؤسّسات الإقليميّة الأخرى في هذا الشّأن. ومع ذلك، فلا بدّ أنْ نعترف أنّ تلك الأنظمة والمؤسّسات سرعان ما عاد اتّزانها؛ في حين أنّنا لمسنا ما يشبه التّخبّط والارتباك في نظامنا الإقليميّ العربيّ. فلاحظنا تسارع المبادرات الدّاعية إلى الإصلاح وإعادة الاتّزان إلى هذا النّظام من دون إرادة جماعيّة وآليّات مدروسة.

والسّؤال لا يخلو من العاطفة. فقد كُسرت أمّتنا وذُلّت بأيدي أبنائها بسببٍ من مركزيّة القرار، وغياب الرّؤى والسّياسات، وسيادة الإنشاء والعشوائيّة على الحكمة العمليّة وعلى الحصافة والعقلانيّة.

كلمـــة أخيرة: ألَم يَحن الأوان لاستنهاض كفاءاتنا فـــي المهجـــر وتوظـــيفها في الانطلاقة المنشودة لأمّتـــنا؟ ألـــم يَحنْ الأوان لاستثمار المبالغ الطّائلة المســـكوت عنها (أكثر من ١,٣ تريليون دولار!)، التي يملكها أثرياؤنا في الولايات المتّحدة وغيرها، لصالح الأمّة؟!

س٢: مـــا هو الدوْر العربيّ المشروع في عمليّة إعمار العــراق في إطار المنافسة الدّوليّة لاقتسام كعكة العراق؟

- الــدوْر العربيّ الأهمّ يجب أنْ يرْتكزَ على الجهود الموصـــولة لإبقــاء العــراق جُزءاً لا يتجزّأ من محــيطه العربـــيّ، وليس على المحاولات النّفعيّة الآنــيّة لاقــتطاع جُــزء من "الكعكة" (وهو تعبير يُؤلمني، وكأنّ العراق العظيم بات يتيماً على مائدة اللّئام أو بقرة حلوباً لكلّ طامع).

إنّ الــتّعامل الإنسانيّ مع إخوتنا وبني جلدتنا في العــراق هــو أدنـــى الواجـــب. وحــتّى الحكمة والحصـــافة تقتضـــيان أنْ ننأى عن الجري وراء المـــنافع المادّيّة الآنيّة التي قد تدفع بالعراق – لا

سمحَ الله – إلى خارج حظيرته العربيّة، وهو الذي نعتزّ بأبنائه وبجوارهِ وبأصالتِه وعراقتِه.

وأياًّ كان الأمر، فلا بدّ من العمل العربيّ المشترَك فـــي هـــذا المجال، كما في كلّ مجال، ربّما تحت خيمة "بيت العرب" (جامعة الدّول العربيّة)؛ عسى أنْ نصـــوّبَ الفـــراغ الـــنّاجم عن غياب الإرادة الجماعيّة.

ومرّةً أخرى أُذكّر بالإنسان العراقيّ، وبأهمّيّة أمنه الإنسانيّ وكرامتِه قبل التفكير بـــ "كعكته".

س٣: كـــان صـــوت الشّـــارع العربيّ عالياً ومسموعاً ومعـــبّراً عـــن إرادة سياســـيّة شـــعبيّة ضدّ مبدأ العدوان على العراق. ما هي دِلالات هذا الموْقف؟ وكـــيف يُمكـــن توظيفه في تفعيل النظام الإقليميّ العربيّ؟

- نعم: كان صوت الشّارع العربيّ عالياً آنذاك؛ لكنه بقـــي مقلاًّ قياساً بالشّارع العالميّ. وإذ نتحدّث عن الصّـــوت المـــرفوع، فهـــل هذا كافٍ لكي يُصبحَ ظاهـــرة رفـــض، وظاهرة إصلاح؟ أين الخطاب التّحليليّ التّراكميّ؟

إنّ الصّـــوت العربـــيّ يبقى مهمّشاً بغياب الأطر البرلمانـــيّة الحقّـــة في الوطن العربيّ. صحيح أنّ هـــنالك بعض البرلمانات ومجالس الشّورى؛ لكنّها لم تشبّ عن الطّوق بعد.

علـــى أيّ حال، فإنّني أتفاعل بمؤسّسات المجتمع الأهليّ (المدنـيّ)، وبالنّخبة العربيّة المؤمنة بحتميّة تجاوز المرحلة الرّاهنة، وبكلّ محاولات النّهوض بـــالعمل العربـــيّ المشـــترك وآلـــيّاته فـــي شتّى المجـــالات. عليـــنا أنْ نوظّف كلّ ذلك في تفعيل الحـــوار عـــبْر القُطـــريّ وعبْر الإقليميّ، وتفعيل التّشـــبيك البـــنّاء، وتنشـــيط مؤتمرات المواطنين الهادفة.

س٤: قبل ٢٢ عاماً صدر كتابكم القيّم حول "حقّ الفلسطينيّين في تقرير المصير" مؤكّدا حقّهم في إقامة دوْلتهم على كامل ترابهم الوطنيّ. إلى أيّ حدّ ترى سموّك أنّ "خريطة الطّريق" يُمكنُ أنْ تحقّقَ هذا الأمل؟ وهل سيقتنع الفلسطينيّون بدوْلة غيْر محدّدة المعالم وناقصة السّيادة عام ٢٠٠٥؟ وما هو تقييم سمُوّكم الشّخصيّ لهذه الخريطة الأمريكيّة؟

- حين صدر كتابي **حقّ الفلسطينيّين في تقرير المصير**... قبل ٢٢ سنة، كنتُ أحاول أنْ أبيّنَ أنّ الالتفافَ حول المشكلة الفلسطينيّة وتجاهل استحقاقاتِها لنْ يكونَ مُجدياً. فالمسألة مسألة شعب وأرض؛ وعلى المجتمع الدّوليّ أنْ يواجهَ المسألة بشجاعة وموضوعيّة، وأنْ يتصرّفَ وَفْقَ القانون

الدّولـــيّ والشّــرعيّة الدّوليّة. لقد صدر الكثير من القرارات الدّوليّة التي تؤكّد حقّ الشّعب الفلسطينيّ في إقامة دولْته على أرضه. وها نحن الآن - بَعْد كـــلّ هـــذا الوقـــت وهـــذه المعاناة الطويلة، وبَعْد عشرات الآلاف من الضّحايا وزلزلة الاستقرار في المنطقة - نجد أنّ العالَم بدأ يعترف بأنّه لا بُدّ من إقامة دولْتيْن متجاورتيْن: إحداهما للفلسطينيّين على الأرض الفلسطينيّة والأخرى للإسرائيليّين.

ومن دون التّوصّل إلى هذا الهدف، ستبقى المِنطقة تعانـــي مـــن التّوتّر وعدم الاستقرار؛ الأمر الذي ســـينعكس ســـلباً علـــى التّنمـــية الاقتصـــاديّة والاجتماعيّة، وعلى أمن الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسيّة التي نصّت عليها القوانين الدّوليّة في هذه المِنطقة.

إنّ **خــريطة الطّــريق** هـــي واحــدة مــن خُطط ومقــترحات عــدّة وُضعتْ في السّنوات العشرين الماضـــية للوصول إلى حلّ نهائيّ. وعلى ما فيها مــن ثغــرات ونقاط غامضة، فإنّها في الظّروف الحالــيّة تشكّل مدخلاً مقبولاً، خاصّة أنّها تَحظى بقَبول فلسطينيّ وبإجماع عربيّ ودوليّ. لكنّها تبقى غيْر كافية لأنّها أشارت إلى دولة مؤقّتة، ولمْ تشرْ إلـــى الحدود الدّائمة ولا إلى الموضوع السّياديّ. وســـدّ هذه الثّغرات والنّواقص إنّما يتطلّب جهوداً إضافيّة فلسطينيًّا وعربيًّا ودوليًّا ترمي إلى تطوير الأفكار الواردة في الخريطة وتحويلها إلى خطوات عملــيّة وبــرامج عمــل، يمكن أنْ يلتزمَ بها كلا الجانبيْن وأنْ تكونَ خاضعةً للمراقبة والقياس.

إنّ إقامـــةَ دوْلـــة فلســـطينيّة غـــيْر محدّدة المعالم وناقصـــة السّـــيادة لـــنْ يُرضيَ الفلسطينيّين ولن

يرضـــيَ أحداً، لأنّ ذلك عوْدة إلى سياسة الالتفاف والمماطلة. وهذا يَعني استمرار الصّراع والنّزاع، واستمرار الحالة التي تسعى المِنطقة إلى الخروج مــنها. فمـــاذا حـــدث لــــــ "**الحقوق غيْر القابلة للتّصــرّف**"؟ الإشكالُ الرئيسيّ ليس في النّصوص الواردة في **الخريطة** – على عِلاّتها – بقدر ما هو فـــي الإرادة الجماعــيّة للوصول إلى حلّ سياسيّ للصّــراع العربــيّ الإســرائيليّ. وفيما نعلم، فإنّ الجانب الفلسطينيّ والجانب العربيّ عموماً تتوافر لديه الإرادة الصّادقة للوصول مع **خريطة الطّريق** إلى النّهاية التي التزم بها الرّئيس الأمريكيّ وأقرّها مجلس الأمن في قراره (١٤١٣)، وهو قرار إقامة دولة فلسطينيّة.

ومــن المؤمّل أن يكونَ الجانب الإسرائيليّ صادقاً مع نفسه ومع الفلسطينيّين ومع الشّعب الإسرائيليّ،

وأنْ يـــتّخذ القـــرارات التـــي من شأنها أنْ تجعل **خـــريطة الطّريق** قابلة للحياة وقابلة للتّنفيذ؛ عسى أنْ تُطوّرَ إلى صيغة تُوصل إلى فضّ النّزاع بيْن الطّرفيْن.

ومهمـــا يكـــن مـــن أمر، فإنّنا ننظر إلى **خريطة الطّريق** ليس كأنّها نصوص جامدة، إذ إنّها حينذاك ستكون عاجزة تماماً عن تحقيق الهدف منها؛ وإنّما ننظر إليها بأنّها خطوط إرشاديّة يجب العمل على إغـــنائها وتصحيحها وتطويرها لتكونَ أكثرَ عمليّةً وأكثر فاعليّةً.

إنّ الدّولـــةَ التـــي يتطلّع إليها الفلسطينيّون والتي يعـــترف بحدودهـــا المجتمع الدّوليّ بصورة غيْر مباشـــرة هـــي تلك التي تمثّلها حدود الخامس من حَزيـــران/يونـــيو ١٩٦٧ وَفْـــقَ قرارات مجلس

الأمـــــن (٢٤٢)، و(٣٣٨)، و(١٣٩٧). وكـــلّ محاولة للتّغافل عن هذه الحقيقة لا يمكن أنْ تكون طـــريقاً للسّـــلام. كمـــا أنّ **خريطة الطّريق** نفسها تعـــترف بالمبادرة العربيّة. من جهة أخرى، فإنّ مفهـــوم الدّولة دون سيادة والدّولة دون حدود هو مفهـــوم إســـرائيليّ غريـــب عن المفاهيم الدّوليّة والقانونيّة. إنّ مفهومَنا للدّولة المؤقّتة هو أنّها دولة ذات سيادة؛ لكنّ الخطوطَ النهائيّة لحدودها تتطلّب الاتّفـــاقَ علـــى التّفاصـــيل. كما أنّ بعض الأمور السّـــياديّة تتطلب استحقاقات على الجانبيْن، وليس على جانبٍ واحد.

س٥: قضـــيّة اللّاجئين تتعرّض حاليًّا لمخطّط إسرائيليّ بهدف تصفيتها. كيف يمكن للمفاوض الفلسطينيّ إعـــادة هـــذه القضـــيّة إلى قائمة الأولويّات في مفاوضات "خريطة الطّريق"؟

- مشكلة اللّاجئين هي أحد الأركان الرئيسيّة للقضيّة الفلســـطينيّة. فمـــن دون حـــلّ عادل ومقبول لهذه المشكلة، سوف يستمرّ النّزاع إلى إشعار آخر؛ لأنّ القضـــيّة الفلســـطينيّة هي في النّهاية قضيّة أرض وقضيّة شعب.

لقـــد حاولت إسرائيل على مدى السّنوات الخمسين الماضـــية أنْ تتجاهل قضيّة اللّاجئين الفلسطينيّين، بـــل أنْ تعدّهـــم غيْر موجودين. وتحاول إسرائيل دائماً التّنصّل من مسؤوليّتها تجاه اللّاجئين، سواء مـــن حيث دوْرُها في إجبارهم على اللّجوء أصلاً؛

أو من حيث عدمُ الاعتراف بحقّهم في العودة، أو حقّهــم في ممتلكاتهم، أو التّعويض عن الأضرار التي لحقت بهم.

لقد وضع القرار (١٩٤) لعام ١٩٤٨ أساساً مقبولاً وعملــيًّا لحــلّ مشكلة اللّاجئين. فالإعلان العالَميّ لحقــوق الإنســان الذي صدر عام ١٩٤٨ يُعطي الإنســان الحقّ في مغادرة وطنه وبيئته، ويُعطيه حقّ العوْدة مهما كانت الأسباب التي غادر بسببها. كمــا أنّ هــذا القرار ينصّ في الفِقْرة (١١) على السّـــماح للّاجئين بالعوْدة إلى بيوتهم وتعويض من لا يتمكّــن من العودة. والقرار بهذا النّصّ واقعيّ وعملــيّ، لأنّـــه ليس من المتوقّع أنْ يتمكّنَ جميع اللّاجئين من العوْدة إلى بيوتهم.

إنّ الاعـــتراف بهـــذا الحقّ شيء أساسيّ من أجل الـــبدء فـــي بحـــث التّفاصيل، عدا أهمّيّته النّفسيّة والسّياســيّة التـــي تبعث الثّقة بيْن الأطراف. لكنّ بلـــورة الأمـــور فـــي بـــرنامج عمل إنّما تخضع لاعتـــبارات كثـــيرة لـــدى مختلِف الأطراف؛ ممّا يجعـــل مـــن المستحيل أن يتدفّق ملايين اللّاجئين الفلسطينيّين إلى بيوتهم، لأسباب اقتصاديّة وإنسانيّة وسياسيّة وعمليّة لا مجال لحصرها.

لقد اتّجهت إسرائيل في الآونة الأخيرة إلى إصدار عـــدد من القوانين ذات الطّابع العنصريّ، بما في ذلـــك الإصـــرار على ما يُسَمّى (يهوديّة الدّولة). وهـــذا يقـــوم علـــى وهْم ويشكّل انتهاكاً للحقوق الإنســـانيّة؛ كما أنّه من النّاحية العمليّة سباحة ضدّ التيّار ستجلب مزيداً من الضّحايا وعدم الاستقرار، ومـــزيداً مـــن إضـــاعة الفرص على المِنطقة في

محاولـتها الخـروج مـن دوّامة العنف والإنهاك والـتّراجع السّياسـيّ والاقتصـاديّ والاجتماعيّ والإنسانيّ.

إنّ الجانـب الفلسـطينيّ يدرك هذه الحقائق؛ لكنّ المطلـوبَ إعادةُ الخطاب الفلسطينيّ ليُصبحَ أكثر تناغماً مع لغة المجتمع الدّوليّ، خاصّة بعد أحداث ١١ أيلـول/سبتمبر ٢٠٠١. فالرّأي العام الغربيّ ومراكـز صـنع القرار في أوروبّا وأمريكا ليس لديهـا صـورة واضـحة عـن الجانب الإنسانيّ والجانـب القانونيّ لمشكلة اللّاجئين الفلسطينيّين. حـتّى المعلومات بحاجة إلى تجديد وإلى مراجعة وإلـى تكثـيف. وهـذه مسألة لن يتمكّن الجانب الفلسطينيّ منفرداً من القيام بها. من هنا يأتي دورْ الجامعـة العربيّة وضرورة الخروج عن نمطيّتها وعـن تقاليدها وأعرافها في التّعامل مع الأحداث.

المسـألة بحاجة إلى فريق متخصّص من الخبراء والسّياسـيّين، وإلى برامج عمل متجدّدة ترمي إلى جعـل موْضوع اللّاجئين والحلول العمليّة الممكنة مـتاحة للرّأي العام الدّوليّ ومراكز صنع القرار، بـدلاً مـن الثّنائيّة التي تحاول إسرائيل ترويجها، وهـي: إمّـا يهوديّة الدّولة أو عوْدة اللّاجئين؛ إمّا الحـقّ الفلسطينيّ أو زوال إسرائيل؛ إمّا الاحتلال الإسـرائيليّ أو الإرهاب. كلّ هذا يجب أن يتغيّر وأنْ يكـون هـنالك إرادة وآليّات للتّغيير، وليس مجرّد تصريحات وتمنّيات.

تعـود قضـيّة اللّاجئيـن لتحتلّ مكانةً بارزة في **خـريطة الطّريق** أو غيْرها من خطط السّلام حين يـنجح الجانب الفلسطينيّ والعربيّ بتِبيان العَلاقة السّببيّة بيْن عدم الاستقرار في المِنطقة واستمرار أوْضـاع اللّاجئين على ما هي عليه، وحين ينجح

فـــي تبــيانها للــرّأي العام الغربيّ بكلّ مؤسّساته الرّسميّة والأهليّة. إنّ العمليّة شاقّة ومُضنية؛ لكنّها ليست مستحيلة.

س٦: مـــا هـــي الدّروس المستفادة من تجربة مدريد، ابتداء من أُوسلو حتى كامب ديفيد (٢)، ليأخذَها المفاوض الفلسطينيّ في اعتباره وهو يُقدم على تجربة "خريطة الطّريق"؟

- دروس مدريـــد وأُوســلو كثـــيرة، ويستطيع أنْ يستطردَ المرء فيها في شتّى الاتّجاهات. لكن قبل ذلك لا بدّ من الاعتراف بأنّ الظّروف التّاريخيّة قد أفـــرزت "حالة" لمْ تكن متوقّعة على الإطلاق. ما هي دروس مدريد وأوسلو الجوهريّة؟ بكلّ بساطة هـــي تعنّت الجانب الإسرائيليّ ومماطلة التّنفيذ من جهة، وبطء عمليّات الإصلاح الداخليّ في الجانب الفلسطينيّ من جهة أخرى. لكنّ الحالة التي نشأت نتـــيجةً لاغتـــيال رابين في البداية وتشرذم حزب العمل، فأحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، فصعود

اليميــن المحــافظ فــي الإدارة الأمريكيّة، وبطء الفصائل الفلسطينيّة في استيعاب المتغيّر في العالم ومــا تســتدعي من تغيير في أساليب العمل ولغة الخطــاب السّياســيّ، ثمّ حرب أفغانستان والمسألة العراقــيّة بكلّ ما تضمّنته من إخفاقات وعجز عن التّغيير واستيعاب مفردات العالم الجديدة: كلّ ذلك ولّــد فــي ذهن اليمين الإسرائيليّ حالة جديدة من "رؤيــة الفرصــة النّادرة" لتحقيق الأحلام القديمة والتّخلّــي عن فكرة "التّعايش بيْن شعوب المنطقة". لذلــك ظنّ اليمين الإسرائيليّ أنّه ما زال في عام ١٩٤٨، وعلَــيه أنْ يُكمــل مــا بدأه وأنْ يضربَ عُــرْض الحــائط بكلّ الاتّفاقات. وهكذا، من كان يــتوقّع أنْ يأتي شارون إلى السُّلطة دون أن يكون هــناك حــزب معارض؟ وأنْ يختفي حزب العمل الذي نهض بالدّور الأوّل على المسرح الإسرائيليّ

لمـــدّة ٥٠ عامـــاً؟ ظروف معقّدة، رافقها ضعف عربـــيّ وبـــطء في الإصلاح والتّغيير، خصوصاً علـــى السّـــاحة الفلسطينيّة: كلّ ذلك في إطار من الدّعم الأمريكيّ غيْر المحدود لإسرائيل.

مـــن جانـــب آخـــر، فإنّ استعداد الجانب العربيّ والجانـــب الفلسطينيّ في كثير من المفردات، مثل موْضـــوع اللّاجئين والقدس والمياه والحدود، كان ولا يزال غيْرَ كافٍ؛ فهو بحاجة إلى جهود مكّثفة مـــن جانـــب الخـــبراء والفنّيّين السّياسيّين لوضع الـــبدائل التـــي تجعـــل من الحلول المنشودة أمراً ممكـــناً. مـــثلاً، إنّ التنســـيق العربيّ العربيّ في موضوع اللّاجئين كان ولا يزال ضعيفاً أو غائباً؛ كما أنّ التّنسيق العربيّ الفلسطينيّ جيّد في الكُلّيّات والعمومـــيّات، لكـــنّه ضـــعيف فـــي التّفاصـــيل والجُزئيّات.

أضـــف إلـــى ذلـــك أنّ إشراك منظّمات المجتمع المدنيّ لرصد المتغيّرات ومراقبة تنفيذ الالتزامات ثـــمّ تعمـــيم النّتائج على المستوى الدّوليّ كان وما زال غائباً. مدريد وأوسلو: كلّ منهما خدمت هدفها في حينه، ولا يمكن حذفها من التّاريخ؛ لكنْ يمكن البـــناء عليها. الإشكاليّة التاريخيّة المعقّدة هنا أنّ المســـائل الكـــبرى تتطلّب عقولاً مبدعة، وساسة ديناميّيـــن، واستشـــرافاً للمســـتقبل، وقـــدرة على الإصـــلاح والـــتّأقلم في الوقت المناسب؛ وهذا لا يحدث دائماً.

س٧: لا تــزال إسرائيل تمارس عمليّات تهويد القدس، فضــلاً عــن إقامـــة الجدار الواقي لعزل المدينة المقدّسة عن محيطها العربيّ وتشجيع المتعصّبين اليهود على دخول الحرم القدسيّ الشّريف... إلخ. مــا هــو فــي تصــوّر ســموّكم أبعاد المخطّط الإسرائيليّ في هذا الشّأن؟ وكيف لنا تأمين الحقّ العربيّ في القدس في مواجهة واقع يهوديّ قائم؟ وهــل تُفضّــل سموّك عرض قضيّة القدس على التّحكيم الدّوليّ في حالة فشل أيّة تسويةٍ سلميّة؟

- يــبدو أنّ اليميــن الإسرائيليّ غيْر مدرك لخطورة الإجــراءات التي يتّخذها؛ سواء من حيث الإمعان فــي تهويــد القدس، أو استفزاز المشاعر الدّينيّة والوطنــيّة للفلسطينيّين من مسلمين ومسيحيّين، أو

مشـــاعر المســـلمين فـــي العـــالم أجمع بالسّماح للمتعصّبين اليهود بدخول الحرم القدسيّ الشريف.
إنّ أبعـــاد المخطّط الإسرائيليّ في هذا الشّأن تسير باتّجاهيْن:

الاتّجاه الأول: أنْ تفرضَ إسرائيل حالة جديدة في الحـــرم القدسيّ، كما فعلت في الحرم الإبراهيميّ فـــي الخلـــيل. وهـــي تدرك أنّ الأقطار العربيّة والإســـلاميّة فـــي حالة تشتّت وخوْف ودفاع عن النّفس، بعد أنْ أفلحت الدّعاية الصّهيونيّة واليمينيّة المتعصّـــبة فـــي إلصاق تهمة الإرهاب والتّطرّف بالمسلمين والعرب والفلسطينيّين.

الاتّجـــاه الثّانـــي: أنْ تدفعَ الفلسطينيّين إلى اتّخاذ موقـــف مضـــادّ نتيجة للاستفزاز، حتّى تقومَ هي بـــترويج هذا الموْقف الفلسطينيّ على أنّه تطرّف

دينيّ وتوجّه أصوليّ وامتداد للإرهاب الإسلاميّ، وغيْر ذلك من الصّفات التي نجحت الآلة الدّعائيّة الصّهيونيّة في إلصاقها بنا أمام المجتمع الأمريكيّ والأوروبيّ والدّوليّ.

هـــذا المخطّـــط يتطلّـــب عملاً فلسطينيًّا وعربياً وإســـلامياً عالي المستوى، قادراً على التّعامل مع العقل الغربيّ و على تِبيان الحقائق من خلال شتّى الوســـائل، بمـــا في ذلك منظّمات المجتمع المدنيّ الإقليميّة والدّوليّة.

إنّ الحـــقّ العربـــيّ في القدس هو حقّ للمسلمين والمســـيحيّين علـــى حدّ سواء. ويجب الدّفاع عنه بقـــوّة. وهنالك الكثير من القرارات التي صدرت عن الأمم المتّحدة والتي تَعدّ القدس الشرقيّة جُزْءاً من الأراضي المحتلّة. من هنا، لا بُدّ من الرّجوع

إلى الشرعيّة الدّوليّة، وتجديد العَلاقات وتطويرها مع جميع المنظّمات والجمعيّات والمنابر التي تهتمّ بالتّراث الإنسانيّ الذي تمثّله القدس، والعمل وَفْقَ برنامَج واضح في هذا المضمار.

قضـيّة القدس ليست جديدة على السّاحة الدّوليّة. فـالقدس الشّـرقيّة كانت جُزْءاً من الضّفّة الغربيّة حـتى الخامس من حَزيران/يونيو ١٩٦٧. وعليه، إذا أُريد للقدس أنْ تكونَ موضع تحكيم، فيجب أن يكـونَ ذلـك مستنداً إلى الخلفيّة القانونيّة المشار إليها.

إنّ إسـرائيل هـي قوّة احتلال في الضّفّة الغربيّة وقطـاع غزّة منذ عام ١٩٦٧. وقوّة الاحتلال لا يحـقّ لهـا تغيير المعالم الديمُغرافيّة والجغرافيّة والاجتماعـيّة للمناطق التي تحتلّها. فهي لا تتمتّع

بالسّـــيادة – بالمفهوم القانونيّ – لكي تُجريَ مثل هذه التّغييرات.

وتبقى القدس إحدى العلامات الرّئيسيّة في الصّراع العربـــيّ الإسرائيليّ والفلسطينيّ الإسرائيليّ. وقد تتطلّب فريقَ عمل خاصًّا بها لإعطائها ما تستحقّ من جهد وفكر وإمكانات.

علـــى كلّ حال، إذا كانت ثمّة رغبة مشتركة من الأطراف المعنيّة في عرض موضوع القدس على التّحكيم، فإنّ على تلك الأطراف أنْ تتّفقَ أولاً على قـــاعدة مشـــتركة مـــن المعطيات، ثمّ تحدّد نقاط الخلاف التي تودّ طرحها على التّحكيم. وهذا يعني أنّ هـــنالك إرادة سياسيّة مشتركة لدى الجميع في الوصـــول إلى حلّ يمكن الاتّفاق عليه. وهو أمر يتطلّب تغييراً واضحاً في الموقف الإسرائيليّ.

كلمـــة أخيرة عن "القدس في الضّمير". ففي مقالة لـــي نُشرت في **الحياة** اللّندنيّة في ٢٠٠٣/٤/٢٢ بعـــنوان "السُّــلطة المعنويّة للمقدّسات"، قلت: "إنّ بســط نفــوذ السّلطة المعنويّة للمقدّسات هو مظلّة أمان للجميع، وليست لمصلحة فئة معيّنة." وناديْت بوضـــع تشـــريع للمدن المقدّسة يكون من قواعده الأساســيّة: "تخصيص المقدّسات لما بُنيــت لـــه، ولمن بُنيت لهم، ولجْم الغضب وعنفوان القوّة أمام سلطان المقدّسات."

س٨: ما هي الخطوةُ الإيجابيّة التي يُمكنُ بها للدول العربيّة إقامة تكاملٍ اقتصاديّ يُحقّقُ قوّةً عربيّةً ذاتيّة لمواجهةِ عولْمة الاقتصاد؟

- الخطوة الأهمّ إنّما تكمن في تحويل الخطابِ القُطريّ للدّول العربيّة إلى خطابٍ إقليميّ عَبْر قُطريّ يُعنى بالأمن [الاقتصاديّ] والتّعاون، ويَنأى عن التّقوقع والانغلاق، ويؤمن بمبادئ الأمن الجماعيّ المرتكزة على "قوّة أقلّ الأقطار أمناً".

لا تُعوزُنا اتّفاقات أو معاهدات أو شراكات أو بروتوكولات؛ وإنّما تنقصُنا الإرادة الجماعيّة والإدارة الحَصيفة للانتقال بإنساننا العربيّ من ثقافة البقاء – مجرّد البقاء – إلى ثقافة المشاركةِ والبناء.

لا أتحدّثُ هنا عن شعاراتٍ صمّاء؛ بل عن رسالة: رسـالة "الانـتماء والإنماء" التي حملَها ويحملُها منـتدى الفكر العربيّ منذ تأسيسه عام ١٩٨١ في أعقاب قمة عمّان الاقتصاديّة.

كـيف يُمكـن لهـذا الفكر أنْ يُساهمَ في ما نحن بصدده؟ قد تكمن الخطوةُ الأُولى في تعريف طبيعة القضـايا والمشـكلات التي توفّر أرضيّةً مشتركة بيْـن الأقطار العربيّة في كلّ منطقةٍ جغرافيّة من الوطـن العربيّ: شبه الجزيرة العربيّة؛ والمشرق والمغـرب العربيّيْـن؛ ووادي النّـيل؛ والقـرْن الإفريقيّ.

ولعلّـنا بحاجة إلى "شراكة من أجْل التّنمية"؛ إلى أُسلوبٍ جديد في التّعاون يَستندُ إلى أفكار ومفاهيم مثل "إدارة الأقاليم" (بمعنى الدّول في إطار الإقليم

الواحد)؛ إلى تبنّي "مطلق" على غرار المطلق فوق القُطــريّ المتمـثّل في الفحْم والصّلب الذي تبنّته أوروبــا الغربـيّة بُعــيْدَ الحرب العالميّة الثّانية، فأضــحى المــنطلقَ والــنّواة للاتّحــاد الأوروبيّ المَهيــب. وهل هنالك أفضلُ في حالتنا من العنقود الثّلاثيّ المكوّن من المياه والطّاقة والبيئة البشريّة؟ إنّ تداخُــلَ النُّظُم والمعارف هنا يؤدي تلقائيًّا إلى مفهــوم "الأقاليم الاقتصاديّة الطّبيعيّة" الذي طرحه روبرت سكالابينو بعد نهاية الحرب الباردة.

فالباب يجب أنْ يكونَ مفتوحاً على مصراعيْه بيْن أقطارنا للاعتماد المتبادَل والاستقلال المتكافِل، إنْ جاز التّعبير.

س٩: دَعوْتُم سموّكم إلى تلاحم الجهود العربيّة والخروج من حلقة الصّراعات بتناول القضايا العربيّة في إطار استراتيجيّة ورؤية خاصّة بنا كعرب، لأنّ ثنائيّة التّعامل بيْن الدّول العربيّة تفرض علينا التّفكير في وضعها في إطارها العربيّ. هل هذا يَعني أنّ التّجمّعات الإقليميّة في كلّ من المشرق العربيّ والمغرب العربيّ يُمكنُ أنْ تدفعَ خطوات التّكامل والتّعاون العربيّ؟

- مرّة أخرى أؤكّد أهمّيّة التفكير عَبْر القُطريّ وعَبْر الإقليميّ. فلنْ تُثمرَ الفرص الماثلة أمام التّجمّعات الإقليميّة في مشرقنا ومغربنا إلاّ بانفتاح تلك التّجمّعات على بعضها بعضاً.

أستذكرُ هنا، على سبيل المثال، إعلان الرّباط في التّاسع من أيّار/مايو ٢٠٠١ حوْل إنشاء مِنطقة

تجـــارة حُـــرّة بيْـــن أربعـــة دول عربيّة: مصر، والمغـــرب، وتونس، والأردنّ. ألا يُعدّ ذلك – إنْ فُعِّلَ بعزيمةٍ وإرادة – نقطةَ تحوّلٍ مهمّة في مجال الـــتّعاون الإقليميّ، أو "الإقليمي الفَرْعيّ" إنْ جاز التّعبير؟

إنّ الـــتّجارة الحُـــرّة هي وسيلة وليست هدفاً بحدّ ذاتهـــا. فالمكاســـب الحقّة للتّجارة الحُرّة تتأتّى من تفعـــيل الاســـتثمار وتكثيفه جرّاء الانسياب الحُرّ للبضـــائع والخِدمـــات؛ يتـــبع ذلك تحرير انسياب عوامل الإنتاج؛ وهي: رأس المال والقوى العاملة.

أعـــود هـــنا إلى عُنقود (الطّاقة – المياه – البيئة الإنســـانيّة) الـــذي ما فتئتُ منذ سنين وسنين أعدّهُ "مُطلقـــاً" ومُنطَلَقاً ملائماً لمأسسة التّعاون الإقليميّ عَـــبْر القطـــريّ للمجموعة العربيّة وجيرانها. إنّ

الطّاقة والمياه والبيئة الإنسانيّة تشكّل مواردَ أساسيّة في وطننا العربيّ. وخلافاً لما يبدو لأوّل وهلة، فإنّ تبايُنَ توْزيع هذه الموارد بيْن الأقطار العربيّة يمثّل أساساً عمليًّا للتّعاون الإقليميّ. فالتّكامُل لا معنى له إلاّ إذا تحقّق أصلاً بيْن منظوماتٍ تختلِف وتتباين خصائص وحداتها ومكوّناتها.

س١٠: تعدّدت الآراء في شأن إصلاح الجامعة العربيّة، بيْن استحداث ميثاق جديد لها وبين الاكتفاء بتعديله. ما رأي سُمُوّكم في الخطوات الواجبة لتفعيل الجامعة؟

- لعلّ خيْرَ مُنطلق لهذا الغرض هو المبادرة المصريّة لتطوير جامعة الدول العربيّة. وقد أعفاني الأُستاذ إبراهيم نافع من مؤونة تحليل هذه المبادرة وإبراز أهمّ نقاطها [الأهرام؛ ٢٨ تمّوز/يوليو ٢٠٠٣]. كما أعفاني الأُستاذ عمرو موسى من مهمّة مناقشة المشكلات والأزمات والتّحدّيات التي تواجهها الجامعة [مجلّة السياسة الدّوليّة؛ العدد ١٤٩؛ حزيران/يونيو ٢٠٠٢؛ ص ١١٤-١٢٠].

إنّ أبرزَ ما في هذه المبادرة شموليّتُها، وعرْضُ البدائل حيثما أمكن؛ إضافة إلى مقترحاتها العمليّة:

إنشاء محكمة عدل عربيّة، وتشكيل برلمان عربيّ، وإنشـــاء مجلس أمن عربيّ، وإقامة منتدى للأمن القومـــيّ العربـــيّ، وتطوير جهاز الأمانة العامّة للجامعـــة وتدعـــيمه، وما إلى ذلك. فهي "مبادرة كـــبرى تجمع بيْن ما هو سياسيّ وما هو قانونيّ". كمـــا أنّهـــا تراكميّة؛ بمعنى أنّها نهلت من أفكار ومبادرات ومقترَحات سبق أنْ طُرحت على أعلى المستويات العربيّة.

وكان لمنتدى الفكر العربيّ، الذي أتشرّف برئاسته ورعايـــته، دوْرٌ بارز في هذه التّراكمات الفكريّة. يحضرُني هنا ندوة المنتدى في صنعاء عام ١٩٩٩ عن "**حلّ النّزاعات العربيّة بالطّرق السّلميّة**" (التي صـــدرت وقائعهـــا عـــام ٢٠٠١)؛ ونـــدوة الجزائر عام ٢٠٠٠ حول "**النّظام العربيّ ... إلى أين؟**" (نُشرت الوقائع عام ٢٠٠١)؛ وندوة الكويت ٢٠٠١ عن "**آفاق**

الـتّعاون العربيّ بيْن الإقليميّة والعالميّة" (صدرت الوقائع عام ٢٠٠٢).

إنّ جامعة الدول العربيّة قويّة بقوّة أعضائها الفرديّة والجمعيّة، وضعيفة بضعف أولئك الأعضاء. فلا أملَ لتطوير الجامعة وتحديثها إلاّ إذا توافرت الإرادة الجماعيّة، مثلما حدث في حالات أخرى مماثلة؛ لعلّ أبرزَها منظّمات الاتّحاد الأوروبيّ.

لقد كُتب وقيل الكثير في سلبيّات العمل العربيّ المشترك، وفي عجز الجامعة ومؤسّساتها عن تحقيق الأهداف التي تأسّست من أجلها. لذلك، فإنّنا لسنا بحاجة إلى المزيد من الكتابة والتّحليل لمعرفة الظّروف والأسباب التي جعلت الدّول العربيّة تتردّد في الاعتماد على العمل الجماعيّ في شتّى

المجالات. ما نحتاج إليه اليوم هو النّظرة الإيجابيّة لما تحقّق من إنجازات، ولما يواجه الدّول والشّعوب العربيّة من تحدّيات داخليّة وخارجيّة، وكيف يُمكن تطوير مؤسّسات العمل الجماعيّ وأسلوبه بما يساعد على التّضامن والتّقارب وتغلغل المصالح القطريّة والفرديّة في معيشة النّاس ووجدانهم .

حقّق العمل المشترك الكثير من الإنجازات الاقتصاديّة والسّياسيّة والثّقافيّة، بالرّغم من الصّعوبات والعراقيل والأزمات التي واجهت الجامعة العربيّة والمؤسّسات العربيّة المشتركة خلال الأربعة عقود الماضيةِ. يكفي أنْ نذكر، على سبيل المثال، نجاح مئات المشروعات الاقتصاديّة الثّنائيّة والجماعيّة في تحقيق أغراضها إلى حدّ كبير؛ ويكفي أنْ نشيرَ إلى استثمار زهاء ٤٠

بلـــيون دولار فـــي هذه المشروعات؛ ويكفي أنْ نعـــترفَ بمـــا حقّقـــته الجامعة من دعم ومساندة سياســـيّة ومســـاعدات فنّيّة واقتصاديّة للكثير من الأقطـــار العربـــيّة قـــبل استغلالها من الاستعمار الأجنبيّ وبعده: ابتداء من ليبيـــــا عام ١٩٥٣ إلى الدّول التي استقلّت في مطلع السّبعينيّات من القرن الماضي. إنّ الحديث عن إيجابيّات العمل المشترك يمكـــن أنْ يطـــول؛ وهو يحتاج إلى الموضوعيّة والإنصـــاف. لذلـــك، أقترح القيام بدراسة شاملة منصـــفة تحدّد هذه الإيجابيّات وتعترف بما تحقّق من عمل عربيّ مشترك.

إنّ أوّل مـــا يحـــتاج إلـــيه نجـــاح العمل العربيّ الجماعـــيّ هو تقوية الإيمان بضرورته وبفوائده، وزيادة الالتزام به وبشروط تحقيقه. فلا بدّ من بناء الـــثّقة بين أنظمة الحكم في الأقطار العربيّة حتى

تتمكّنَ من الاعتماد على بعضها بعضاً في معالجة أمورهـــا القُطْـــريّة والمشتركة، وفي التّعامل مع الكتل الاقتصاديّة والسّياسيّة في العالَم.

كذلك لا بدّ من بناء الجسور واشتباك المصالح بين الأفــراد والمؤسّســـات غير الحكوميّة عَبْر حدود الأقطار العربيّة. وهذا شرط لا غنى عنه في نجاح مستقبل التّعاون العربيّ. كلّ هذا يحتاج إلى تسهيل العراقيل الأمنيّة والإداريّة بل إلى إزالتها.

وفـــوق هذا وذاك، لا بدّ من تغيير أسلوب العمل، وتحســـين درجة الالتزام بما يُتّفق عليه من عمل، وتأجيل ما يحتاج إلى المزيد من الوقت والدّراسة والتّفاهم.

إنّ من أهمّ أسباب تعثّر العمل المشترك عدم تنفيذ مـــا يُتّفق عليه وعدم مناقشة ما يُختلف فيه. فلا بدّ مـــن تغيـــير هذا الأسلوب القاتل لروح التّضامن والتّعاون بين الأقطار العربيّة.

لا بدّ منْ إعطاء المؤسّسات العربيّة المشتركة كلّ ما تحتاج إليه من تمويل وقدرات بشريّة من الذين يؤمـــنون بجـــدوى التّضـــامن ولهم من الكفاءات والخبرة ما يُمكنهم من بناء القدرة العربيّة.

ولا بدّ من تمكين القطاع الخاصّ والمجتمع الأهليّ مـــن العمـــل والتّعاون عبر الأقطار العربيّة عن طـــريق تسهيل حركة النّاس وإقامتهم وعملهم في مِنطقة عربيّة مشتركة تجمع بين قُطريْن أو أكثر، مثل تجربة مجلس التّعاون الخليجيّ.

كذلـــك لا بـــدّ مـــن العمل على تنسيق العَلاقات الـــتّجاريّة بيـــن الأقطار العربيّة من جهة، وبيْنها وبيْن مناطقَ تجاريّة حُرّة غير عربيّة مثل الاتّحاد الأوروبيّ والولايات المتّحدة وغيرهما.

س١١: إنّ إعلامَنا العربيّ قاصر في مخاطبة الرّأي العام العالَميّ. كيف نرقى بهذا الإعلام إلى مستوى منافسة وسائل الإعلام الأمريكيّة والصّهيونيّة؟ فمثلاً، حين ثار الرّأي العام الغربيّ ضدّ حرب العراق، لم يعرفْ إعلامُنا العربيّ كيف يستفيد من هذا الحدث بشكل كافٍ.

- إبّانَ حرب العراق وجّهْتُ إلى الإعلام العربيّ رسالة شكرٍ وتقدير على بسالته وشجاعته، وحتّى على المخاطرات التي خاضها من أجل الارتقاء بالمهنة ومن أجل نقْل الحدث كما هو على الأرض بكلّ صدقٍ وأمانة [الحياة؛ ٢٠٠٣/٤/٨] . فقد لاحظ الجميع حينذاك – ربّما لأوّل مرّة – من الإرهاصات والمؤشّرات ما جعلنا نتفاءل بمستقبل

الإعـــلام العربيّ، خصوصاً فيما يتعلّق بدوْره في مخاطبة الرّأي العام العالميّ.

إلاّ أنّ إعلامَنا يبقى قاصراً ومحدوداً، سواء داخل الوطن العربيّ وخارجه. حتّى المِهنيّة أو الحِرفيّة العالية تبقى نادرة في هذا الإعلام. أضفْ إلى ذلك أمـــوراً أكـــثر جوهريّة: أعني الوقوع في حبائل الهـــوى وعدم الموْضوعيّة والصّدقيّة. فالشّوْط ما زال أمامنا طويلاً حتّى نحقّقَ ولو نصف ما نصبو إليه.

لذلـــك، ناديتُ مراراً بتشكيل فيالقَ من الإعلاميّين الشّـــباب العـــرب الذين لا يهابون في الحقّ لومة لائم، والذين ينقلون الحدَث كما هو دون أيّ تحيّز أو هـــوى. فالإعلام النّاضج الصّادق لا يقلّ أهمّيّةً

عــن النّظام التّربويّ التّعليميّ. والإثنان يتغلغلان في أسّ أساسنا وفي صميم وجداننا.

من هنا، كان لي شرفُ إطلاق مبادرة **شركاء في الإنســانيّة** فــي عمّان مؤخّراً [٢٦-٢٧/٧/٢٠٠٣]. وهــي مبادرة تشاركُني فيها المجموعة الأمريكيّة المســمّاة **البحث عن أرضيّة مشتركة** للعمل على تحسين التّفاهم في العالَم وبناء عَلاقات إيجابيّة بيْن العــالَم الإسلاميّ والولايات المتّحدة بروح إنسانيّة مشــتركة. وتضــمّ المبادرة شبكة من المؤسّسات الحكوميّة وغيْر الحكوميّة ومنظّمات عالميّة مهمّتها تســهيل الحوار بيْن العالَم الإسلاميّ والغرب، مع التّركــيز علــى مؤسّســات التّربــية والتّعلــيم، والمؤسّسات الإعلاميّة ونوافذها المختلِفة.

إنّ النّضـــجَ الثّقافيّ يقتضي إعلاماً راقياً ناضجاً. كمـــا أنّ لا ثقافةَ مشارَكة أو ثقافةَ سلام من دون إعـــلام حيٍّ كفـء. ولن نستطيعَ أنْ نعيشَ مجتمع المعرفة وأنْ نواكبَه من دون إعلامٍ رفيع المستوى يؤمـــن بـــأنّ سقف الحرية هو المسؤوليّة ويحمل رسالة واضحة.

لعـــلّ فـــي هجرة كفاءاتنا الإعلاميّة إلى الخارج بعضَ النّفع والخيْر. فالاحتكاك بالإعلام العالَميّ لا بـــدّ أنْ يفرضَ معاييرَ عالية وأنْ ينهضَ بإعلامنا. ولا طـــريقَ للأخـــذ بيد إعلامنا أفضل من هواء الحُـــرّيّة ومن الإعداد المبكّر لشبابنا وشابّاتنا في هـــذا المجال، مثله مثل مجالات التّربية والتّعليم. كذلـــك لا مـــناصّ مـــن التّمويل السّخيّ والإدارة الواعية لهذا التّمويل!

س١٢: اعتبرتم أنّ مشكلة المياه تُعدّ من التّحدّيات المستقبليّة للوطن العربيّ. ما هو تصوّر سموّكم لحلّ هذه المشكلة في مواجهة الأطماع الإسرائيليّة المعلن عنها من ناحية، ودول الجوار الجغرافيّ مثل تركيا من ناحية أخرى؟

● كما قلتُ غيْرَ مرّةٍ، وكما تحدّثت في معرِض إجابتي عن سؤاليْن سابقيْن، فإنّني أعدّ مشكلة المياه مُجرّد عنصر من عُنقود (المياه – الطّاقة – البيئة الإنسانيّة). ولا حلّ لهذه المشكلة الثّلاثيّة العناصر إلاّ ضمن الإطار عبْر القُطريّ وعبْر الإقليميّ. هكذا تقول الجغرافيا، وهكذا تقول الجيولوجيا، وهكذا تقول الجيواستراتيجيا. ولعلّ تجاربَ الأقاليم الأخرى في هذا المضمار تعظُنا وتُرشدنا إلى سَواء السّبيل:

فـــي شـــبه القارّة الهنديّة، وفي الصّين، وفي كندا، وغيرها.

ليســـت هذه أفكاراً تجريديّة، وإنّما يُمكن تجسيدُها في مقترحات عمليّة؛ كأن تشُكّل هيئة عَبْر قُطريّة عُليا – بمجلـــس "حكمـــاء" وخـــبراء – لوضـــع التّصوّرات والحلـــول اللّازمـــة، على غرار الإدارات المتمرّسة المجـــرّبة في أقاليم العالَم الأخرى. فلسنا بصدد إعادة اخـــتراع العجلـــة؛ وإنّمـــا المهمّ – مرّةً ثانية وثالثة ورابعة – الإرادة الجماعيّة.

والحـــقّ أنّ هـــذا التّفكير عَبْر القُطريّ، بل فوق القُطريّ، هو جُزءٌ من ثقافة السّلام بمعناها الواسع العريض.

س١٣: بحكم رئاستكم للمجلس الأعلى للعلوم والتّكنولوجيا الذي أسّستموه منذ وقت مبكّر إدراكاً منكم أنّ التّكنولوجيا هي لغة العصر، ما هو تصوّركم لعمل عربيّ مشترك في هذا المجال لمحاولة سدّ الفجوة الهائلة في التّقدّم التّكنولوجيّ بيْن إسرائيل والدّول العربيّة؟

- لا شك أنّ العلم والتّكنولوجيا هما لغتا العصر؛ فلا تكنولوجيا دون علم، ولا علمَ دون تكنولوجيا. ولَنْ يَزْدهرَ العلم والتّكنولوجيا إلاّ في تربة خصبة وبيئة ثقافيّة اجتماعيّة اقتصاديّة سياسيّة ملائمة. ولنْ نواكبَ التّقدّم المذهل في العلم والتّكنولوجيا إلاّ إذا وفّرنا لهما الدّعم السّخيّ في الموارد البشريّة والماليّة.

إنّ التّقدّم العلميّ والتّكنولوجيّ يتطلّب إرادة جماعيّة والتزاماً وطنياً وقومياً لتوفير فرق العمل اللّازمة والكتل الحرجة التي لا بدّ منها إذا أردنا التّنافس دولْيًّا في المجالات المختارة. وهذه مقوّمات لا يُمكن أنْ تتحقّق على المستوى القُطريّ. فمرّةً أخرى، لا حلّ أمامنا إلاّ بالعمل المشترَك عَبْر القُطريّ وعَبْر الإقليميّ: عربيّ عربيّ، وعربيّ إسلاميّ، وإسلاميّ إسلاميّ، وجنوب جنوب؛ إضافة إلى جنوب شمال.

لقد هَدرْنا جهْدَنا ووقتَنا عَبْر العُقود الطّوال في جُزئّيات وتشرذمات لا طائلَ تحتها. وأهملنا الصّورة الكبرى والطّموحات عَبْر القُطْريّة، سواء أكانَ ذلك في المواصفات والمقاييس أم في "العلم الكبير" أم في تأسيس فرق علميّة عربيّة في مختبرات العالم الكبرى. شتّتنا الجهد والمال على

مشروعات ومنظّمات ومؤتمرات محدودة الفائدة، مركّزيــن – للأسف – على الاستعراض والشّكل دون الجوهر والمضمون.

إنّ الحلّ لإشكاليّة تخلّفنا العلميّ والتّكنولوجيّ إنّما يَكمُــن فــي تحديد الأولويّات وحشد ما يلزم من مــواردَ عَــبْر قطريّة وعَبْر إقليميّة. لنفتح المجالَ الرّحب أمام شابّاتنا وشبابنا في العلم والتّكنولوجيا؛ لنمنحهم الحوافزَ المعنويّة والمادّيّة بلا حدود حتّى لا نُهجّــرهم ونخســرهم. لنجدّد نظامنا التّربويّ التّعليمــيّ بشتّى مراحله: من الرّوضة حتّى ذُروة الدّراسات العُليا في جامعاتنا. لنبتعد عن الشّعارات وأصــحاب الشّعارات، ولنحوّل أفكارنا التّجريديّة هــذه إلى برامج عمل مدروسة مستندة إلى سياسة الخطــوة خطوة والمرحلة مرحلة. لندرس تجاربنا علــى مــدى نصــف القــرن الماضي، ولنستمدّ

التّجارب والعِبَر من مشروعاتنا الفاشلة قبل النّاجحة.

لنتأمّل في ما كتبهُ مفكّرونا في هذا الصّدد: الدّكتور محمّد عبد السّلام رحمهُ الله، وأنطوان زحلان، وسائر علمائنا ومفكّرينا: ليس فقط في العالَم العربيّ والعالَم الإسلاميّ، وإنّما أيضاً في دول الجنوب، وحتّى في دول الشّمال. دعونا نبني على ما سبق، وأنْ لا نبدأ من نقطة الصّفر. ودعونا نكون جُزءاً لا يتجزأ من مجتمع المعرفة، ولا أقول المعلومات!

س١٤: لقـــد عرفـــت الحضارة الإسْلاميّة عصوراً من الازدهـــار وأثّرت في الحضارات الأخرى. ماذا حـــدث لهـــذه الحضـــارة التي بهرت الإنسانيّة بعمقها واستنارتها؟ ما هو تفسير ما أصاب هذه الحضـــارة العظـــيمة من جمود فكريّ وانغلاق وإغراق في الشّكل دون المضمون؟

- إنّ قصّـــة الحضارة الإسْلاميّة من صعود وهبوط معـــروفة فـــي خطوطهـــا العريضـــة، وحتّى في تفصـــيلاتها الدّقـــيقة: كتب فيها بعمق واستفاضة الأقدمون والمحدثون. وهي مسألة طويلة عريضة عمـــيقة أتـــركها للمؤرّخين بمختلِف تخصّصاتهم لإيفاء جوانبها المتباينة حقّها من الدّراسة والتّحليل والتّمحيص.

وإنْ هـــي إلاّ دوْرات تمرّ بها الحضارات؛ مع أنّ كـــلّ صعود تتخلّله بقعٌ سوداء، وكلّ هبوط تتخلّله نقاط مضيئة. فلا نعدم أنْ نجدَ أفراداً عظاماً حتى فـــي أحلـــك الأوقـــات. وما زلنا نرفد الحضارة المعاصـــرة بإنجـــازات باهرة؛ إنّما على مستوى الأفراد وليس على مستوى الأمّة.

إنّ أيّ حضارة تسمو بسموّ أبنائها وتكبو بكبوتهم. وللجمـــود الفكريّ والانغلاق والإغراق في الشّكل دون المضمون أسبابُهُ الموْضوعيّة. فالمسألة ليس مســـألة جينات، وإنّما هي مسألة ذهنيّات أو أنفس بالتّعبـــير القرآنـــيّ البلـــيغ. ولا شكّ أنّ الكفاءات والطّاقـــات كامـــنة تحت السّطح، بانتظار الإرادة الجماعـــيّة والإدارة الحكـــيمة لتوجيهها وتحفيزها وإطلاقها.

لـــنأملْ أنّ مـــا اعترى حضارتنا إنّما هي عوامل مؤقّـــتة، ولو امتدّ بها الزّمان. ولنأمل أنّها ستزول بزوالِ مُسبّباتها وعللها. ونحن لسنا أوّل من عانى الذّبول والأفول: ﴿وتلكَ الأيّامُ نُداوِلُها بيْنَ النّاس﴾ [ســورة آل عِمران (٣): الآية ١٤٠]. وهذه تجارب الأمّم لمن يعتبر: الإغريق واليابان والصّين وغيرها.

المهـــمّ أنّ الجمود لم يكن تاماًّ، والفرصة ما زالت مواتية أمامنا للبناء على كثير من الأسس الصّامدة والإرث المنـــير المســـتنير. وللحديـــث شـــؤون وشجون؛ وله صلة بإذْنِ الله.

س١٥: هـل مـا يشهده العالَم اليوم هو تطبيق لنظريّة صـدام الحضارات؟ أم أنّ هذه المرحلة الصّعبة تُعـدّ المخاض لميلاد نظام عالميّ جديد يتخطّى الـنّظام الأحاديّ الأمريكيّ في اتّجاه نظامٍ يتّسم بالعدالة والإنسانيّة؟

- قـد يكون "صدامَ جهالات" أو "صدام مصالح" أو حـتّى "صـدام تصوّرات"؛ لكنه قطعاً ليس "صدام حضارات". فنحن نعيش في عالم واحد أو حضارة واحـدة بعشرة آلاف ثقافة، على حدّ تعبير الأُستاذ ميرشـيا ماليتسـا مـن جامعة البحر الأسود في بُخارست/رومانيا.

إنّ الإنسـانيّة فـي حالـة مخـاض دائمة؛ لكنّ مخاضات اليوم متسارعة الإيقاع حقّاً، والمتغيّرات كثـيرة جـداً بلغـة الرّياضيّات. ولا نعرف كيف

ســتؤول الأمــور في المستقبل المنظور؛ إلاّ أنّنا نســتطيع أن نلجــأ إلى منهجيّة "سيناريوهات ماذا لو". ومن الواضح أنّ هنالك سيناريوهات متشائمة، وأخرى متفائلة، وأخرى بيْن بيْن أي متشائلة!

وتــبقى العدالة والإنسانيّة ضالّتنا المنشودة. وتبقى المعــركة دائــرة بيْن قوى الشرّ والطّغيان وقوى الخــير والعدالـــة. المهــمّ أنْ تنــتقلَ شعلة الخير وأخلاقــيّات التّضامن الإنسانيّ من جيل إلى آخر وأنْ تبقى في حالة إذكاء مستمرّ.

س١٦: إنّ إمكانات كوكب الأرض الحاليّة وثرواته تفوق آلاف المرّات احتياجات سكّانه من البشر. ومع ذلك يموت الآلاف يوميًّا من الجوع فوق هذا الكوكب المتخم بالثّروات. ما الذي يجب عمله لمحو هذا العار عن جبين الإنسانيّة؟

• هذا عارٌ أزليّ، وأرجو أنْ لا يكونَ أبدياًّ! إنّ الأرقامَ والإحصاءات تتحدّث عن نفسها بنفسها. والمقصود هنا الفقرُ بكلّ أنواعه: المادّيّ والوجدانيّ. وهو الغول الأكبر الذي يرتبطُ به الجوع والمرض والبطالة.

إنّ الحلّ لمحو هذا العار إنّما يكمُن في **تمكين** الفقراء؛ أي إعطائهم أسهماً في مؤسّساتنا، مثلهم مثل بقيّة المهمّشين في مجتمعاتنا. يحضرني الآن بنك غرامين في بنغلادش، ومؤسّسات كاتشي

أبـــادي في باكستان. وهذا يعني الغيْريّة والإيثار؛ يعنـــي الـــزّكاة؛ يعنـــي السّياسة من أجل البشريّة (Anthropolitics) ؛ يعني تسخير العلم والتّكنولوجيا (وعلـــى رأســـها التّتكولوجـــيا الحيويّة) في خدمة البشر؛ يعني مكافحة تجارة الأسلحة وترسيخ ثقافة السّـــلام؛ يعنـــي الإبـــداع والابـــتكار في محاربة البطالة: بطالة البدن وبطالة الروح؛ يعني الاستفادة مـــن مجـــتمع المعـــرفة والإفادة من أذرع الأمم المـــتّحدة؛ يعنـــي تفعيل منظّمات المجتمع الأهليّ (المدنيّ).

لـــيس ثمّـــة عصا سحريّة! المهمّ أنْ يبقى الإنسان محـــور كـــل السّياســـات والسُّـــنن والقوانين. إنّه الإنسان! الإنسان! الإنسان! (دون شعارات ودون إنشاء)!

س١٧: هــل توافقون سموّكم على الرّأي القائل بحتميّة الانـهيار الوشيك للحضارة الغربيّة؟

- قــرأت أرنولـــد توينبي بإمعان، وتدبّرت مليًّا في دوْرات الحضارات الكبرى ما بيْن صعودٍ وأفول. كذلـــك اطّلعـــت على غيبُون وتأمّلاته العميقة في ســـقوط الإمبراطوريّة الرّومانيّة. فانتهيْتُ إلى أنّ الحضارات الكبرى لا تذوي بغتةً، وإنّما تضمحلّ خطـــوةً خطوة. ولا يمكنُ الحُكْمُ على مسبّبات هذا الاضمحلال آنيًّا، لأنّ العوامل التي يُمكن أنْ تفتّ في عضد أيّ حضارة قد تمتدّ على أكثر من حياة إنسانيّة واحدة.

إنّ الحكـــم النّهائـــيّ علـــى صعود أيّ حضارة أو أفولها إنّما هي مسألة للمؤرّخ الذي ينظر في هذه

الأمور من علٍ، بعد أنْ يكونَ قد ألمّ بكلّ صفحاتِ حضارةٍ معيّنةٍ، لا بجُزئيّاتٍ متناثرةٍ هنا وهناك.

لقد تنامت التّنبّؤات بحتميّة الانهيار الوشيك للحضارة الغربيّة في أوقات الأزَمات الكبرى للإنسانيّة، كما حدث قُبيْل الحربيْن العالَميّتيْن وبُعيْدهما. وكان هذا انعكاساً لليأس والقهر اللّذيْن اعتريا الإنسانيّة آنذاك. لكنّ الحضارات الكبرى تتجدّد باستمرار، وهي لا تنهار إلاّ بتضافر عدد كبير من العوامل المرئيّة وغيْر المرئيّة. كلّ ما نستطيعُ أنْ نفعلَ حيال هذا الأمر أنْ نفكّرَ في "سيناريوهات ماذا لو".

وأيًّا كان الأمر، فإنّني أؤمن بسيادة حضارةٍ واحدة في أيّ زمان ومكان بعشرة آلاف ثقافة ترفد تلك الحضارة وتُغنيها. فلا غنى للعالم عن أيٍّ من هذه الثّقافات؛ وسحق أيّ ثقافة أو محقُها يُفقرُ العالَم.

س١٨: يرى بعضُ المفكّرين أنّ الحربَ العالميّةَ الثّالثة قـد اندلعـتْ بالفعل في العالَم الثّالث. ما رأي سُمُوّكم؟

- هـذا يُذكّرُنـي بعنوانكم العريض الملفت للنّظر: "الحـرب العالمـيّة الثّالثة دائرةٌ حاليًّا ضدّ شعوب العـالم الثّالث"، الذي تصدّر لقاءَكم مع جان زيغلر (Jean Ziegler)، "الكاتـب والمفكـر السّياسـيّ السويسريّ، المدافع الأوّل عن قضايا الفَقْر والجوع فـي العـالم" [مجلّـة السّياسة الدّوليّة؛ العدد ١٥١؛ كانون الثّانـي/يـناير ٢٠٠٣؛ ص ١٠٤]. وهـو عنوان يتواترُ بصيغةٍ أو بأخرى منذ سنواتٍ طوال.

لكـنّ المسمّيات تبقى في النّهاية مجرّد مسمّيات. المهمّ في الأمر أنْ نلاحظ أنّ الحروبَ انتشرت في السّنين الأخيرة بشكل لم يسبقْ له مثيل على ظهر

اليابسة. فلا تخلو قارّة من الصّراعات والنّزاعات؛ ومعظـــم تلك متأجّجة داخلَ الدّول النّامية وبينها. والأســـباب متعدّدة؛ إلاّ أنّ أهمّها إصرارُ "زعماء الحـــرْب" علـــى إشعالها بذرائعَ شتّى. ففي الوقت الـــذي تعصف فيه النّزاعات بأرواح مئات الألوف مـــن بني البشر وتُعرقل مسارات التّنمية والإنماء محلّـــيًّا وإقليميًّا وعالميًّا، فإنّ هذه النّزاعات نفسَها تشـــكّل مصدر ثراء فاحش لفئاتٍ باعتْ ضمائرها للشّيطان. ومَعَ أنّ ظاهرةَ "زعماء الحرب" و"تجّار الحـــرب" ليست حديثةً أو طارئة، فإنّ هؤلاء في تزايُدٍ متسارع، وهم ينتشرون – أكثر ما ينتشرون – فـــي إفريقـــيا وآســـيا وإلى حدّ أقلّ في أمريكا اللّاتينيّة.

المأســـاة الكـــبرى أنّ سلسلة الحروب هذه تشكّل تهديداً ليس فقط لشعوبِ العالَم النّامي، وإنّما أيضاً

للــتّوازنات الجيواســتراتيجيّة الهشّة داخلَ الدّول النّامــية وبيْــن بعضها بعضاً. إن هذه التّوازنات عُرْضــة للاخــتلال إزاءَ ضَرْبيْن من الحروب: الحرب الأهليّة، وهي حرب تتميّز باللاّعقلانيّة في وسائل إشعالها وكيفيّة انتشارها كالنّار في الهشيم، كمــا تتمــيّز بعنصــر المفاجأة، أي تدنّي عنصر القُــدرة علــى التّوقّع والتّنبّؤ؛ والحرب النّظاميّة، وهي الحرب التي يحكم مسارَها التّخطيط، ويُمكن تتبُّع مراحل تطوّرِها إلى حدّ بعيد.

إن مكافحــةَ الأخطار عبْر القُطريّة تستدعي إعادة تعريف مفهوم السّيادة. ولا يعني ذلك زوال الدّولة بــأيّ حال من الأحوال؛ لكنّ المغالاة في التّركيز علــى السّــيادة والحــدود "الصُّلبة"، وهي ظواهرُ ملموســة في الدّول النّامية، لا تسمح بالتّعامُل مَعَ كثيرٍ من الأخطار القاتلة بمرونةٍ وحصافة.

ماذا نستطيع أنْ نفعلَ حيالَ اضطّراباتِنا ونزاعاتِنا وصــراعاتِنا؟ الأهــمّ هــو: بناء البيْت الدّاخليّ؛ والتّركيز على الأمن الإنسانيّ، أو الأمن "النّاعم"، المتمــثّل فـــي صــوْن كرامة الإنسان وفي تلبية احتياجاته وتطلّعاته؛ وتعزيز ثقافة المشاركة ومن ثــمّ ثقافــة السّــلام: بالتّربــية والتّعليم، والإعلام المستنير، وبرامج التّوْعية وتبادُل الخبرات.

ثقافــة السّــلام هذه أشمل وأعمّ من مجرّد غياب الحــرب. وكمـــا أنّ الرّادعَ الأمثل ضدّ النّزاعات والصّــراعات بيْــن الدّول والتّكتّلات هو السّلام العـــادل بيْــنها، فـــإنّ الرّادعَ الأمثل ضدّ الخوْف الفـــرديّ والجماعـــيّ، وضــدّ القلق والاضطّراب والزّعــزعة وعدم الاستقرار داخل كلّ دولة، هو السّـــلام الاجتماعـــيّ القـــائم على المحاولة الجادّة والسّـــعي الحثيــث لتحقـــيق العدالـــة السّياســـيّة

والاقتصاديّة والاجتماعيّة. فقد طوّر البشر أسلحة للحــرْب والفــتْك والقتْل والعنْف يُمكن أنْ تمحقَ مظاهر الحياة على كوْكبنا مرّات ومرّات؛ إلاّ أنهم لم يُفلحوا بعد في تطوير أسلحة "ناعمة" للسّلام بيْن الأُمم ولا للسّلام الاجتماعيّ داخلها.

ذلكم هو التّحدّي الأكبر أمامَنا حتّى لا تتدهورَ تلك الحــروبُ المتفرّقة التي تعكّر صفْونا إلى "حرب عالميّةٍ ثالثة" لا تُبقي ولا تذر.

س١٩: كـــيف يمكن تفسير التّناقض الغريب القائم بيْن الاتّجاهيْن السّائديْن في عالَم اليوم: الاتّجاه إلى العالمـــيّة والعوْلمة الذي يفترض شموليّة الفكر والـــرؤى وذوبان أيّ فوارق أو حدود؛ والاتّجاه إلى الذّاتيّة المطلقة والانغلاق داخل الخصوصيّة الثّقافيّة ورفض الآخر؟

- لا يوجد تناقض. فالعوْلمة ليست مجرّد فكرة يُمكن قَـــبولها أو رَفضـــها؛ بـــلْ هي عمليّة أو سيرورة مستمرّة. وهي تعني المزيد من التّقارب والتّشبيك؛ كما تلغي الحدود "الصُّلبة" بيْن الدّول؛ وتُطلق حرّيّة الحـــركة للسّلع والمعلومات والنّاس. كذلك تَفرضُ علينا أنْ نُعيد النّظر في كثير من مفاهيمنا وأفكارنا وحـــتّى ثوابتنا. من ذلك: مفهوم السّيادة القُطريّة؛

ومفهــوم الهُويّــة التي أصبحت هُويّات؛ ومفهوم الانتماء الذي أصبح هو الآخر انتماءات.

قد يرى البعض أنّ العوْلمة امتداد تاريخيّ طبيعيّ للرّأســماليّة، وأنّ الإنســانَ الفرْد سيُسحقُ في هذا الإطار. من هنا، جاء تعبيري "العالميّة" [من "ربّ العالَميــن"]، الذي يُوْحي بأهمّيّة الأخلاقيّات والقيم فــي النّظام العالَميّ، وبتوجّه أساسيّ نحو مصالح الــنّاس ورفاهيّتهم يشمل الإنسانيّة وحقوق الإنسان ســواء بســواء، مــتعدّياً حُدود القانون الإنسانيّ الحالي؛ كما يُوحي بأهمّيّة تعدّديّة الأطراف، وهو المــبدأ الذي تقوم عليه الأمم المتّحدة وغيرها من المؤسّسات الدّوليّة.

إنّ التّضــامن الإنسانيّ يتطلّب التقاء شتّى الثّقافات في نطاق الحضارة الإنسانيّة الواحدة: تتفاعل من

دون أنْ تتصادم، ويُغني بعضها بعضاً. فلا تُوجد أصلاً ثقافة منغلقة على نفسها بطبيعتها أو ميّالة نحو العنف. غير أنّ الثّقافات التي تشعر بأنّها مهدّدة قد تلجأ إلى الدّفاع عن نفسها حين تُوصد الأبواب في وجهها؛ مواجهة الإقصاء برفض مضادّ.

لذلك، ناديتُ – مَعَ مَنْ نادى – بأنّ العالَم المعولْم يحتاج إلى أخلاقيّات عالميّة؛ أيّ إلى مصفوفة من القيم ونظام للسّلوكات الأخلاقيّة الرّوحيّة؛ إلى نموذج جديد للعَلاقات العالميّة يرتكز على عقد اجتماعيٍّ عالميٍّ "يُعظّم الجوامع ويحترم الفروق"؛ إلى جوامعَ عالميّة تستندُ إلى رأس المال الاجتماعيّ (Social capital) والأمن الإنسانيّ؛ إلى شَراكة إنسانيّة وجدانيّة عميقة. فجميع الشّعوب وجميع الثّقافات لديها ما تُساهم به في هذه

الأخلاقـيّات العالمـيّة التي تحترم حقوق الإنسان وكرامتهُ وأمنهُ؛ وترتكزُ على توجّه احتوائيّ، يضمّ حـتى أكثر فئات البشر هشاشة وينصتُ إلى حتّى أكـثر الأصـوات خفوتـاً، ويستندُ إلى الاحترام المتبادل والتّسامح والعدالة.

أهـدافٌ كبيرة ومساعٍ نبيلة بحاجة إلى رؤى نافذة وسياسات بعيدة المدى. وهذا هو الجهاد الأكبر.

س٢٠: هــل حدّثتنا سموّك عن "برلمان الثّقافات" الذي شاركتَ أخيراً في إنشائه؟ ما هي مهمّته؟ وماذا سيكون دوْره؟ وهل سيكون للمرأة دوْر مهمّ في هذا البرلمان؟

- إذا كان لي أنْ أعتزّ بصفةٍ لازمتني وتُلازمُني منذ سنين وسنين، فهي أنّي باني جسور بيْن مَنْ يمثّلون ثقافــاتٍ وديانــاتٍ مخــتلفةٍ؛ مثلــي في ذلك مثل المؤسّســات والمنظّمات والمبادرات التي كان لي شــرفُ تأسيسها أو ترؤسها أو الانتماء إليها. مثال ذلــك: **منتدى الفكر العربيّ** الذي أسّستُه في عمّان عــام ١٩٨١ والــذي يهدف – فيما يهدف – إلى إذكاء الحوار الموْصول البنّاء بين العرب والعرب، وبيــن العرب والعالم؛ **والمعهد الملكيّ للدّراسات الدّينــيّة** الــذي أسّســتُه في عمّان أيضاً قبل تسعِ

سنوات للتّقريب بيْن أتباع الدّيانات، وللتّوفيق بين شتّى المذاهب.

ولعلّ أكثرَ أداةٍ فاعليّةً لبناء جسور التّعاون بين أبناء الثّقافات والدّيانات هي **الحوار**. ذاك أنّ الحوار يساعد في الكشف عن النّظرات النّمطيّة للآخرين وتصويب التصوّرات الخاطئة. كما أنّه يُنضج ويُعلّم التّسامح. لكنّ الأهمّ من هذا وذاك أنّه يشجّع أولئك الذين يعتنقون مبادئ أو آراء متضاربة على الإقرار بأنّ الحقيقة ليست حكراً على طرفٍ دون الآخر؛ بل إنّ الطّرفين كليهما يتقاسمان الحقيقة فيما بينهما، ولكلٍّ منهما رؤيا لا تكتمل دونَ الآخر.

ضمن هذا السّياق، شاركْتُ المرحوم يهُودي منْيُون (Yehudi Menuhin)، عازفَ الكمان والموسيقيّ الإنكليزيّ المشهور، في الدّعوة إلى إنشاء "**برلمان**

للـــثّقافات" فـــي منتصـــف التّسعينيّات من القرْن الفائت.

وبعد لأي وكفاح، تمكّنْتُ والأستاذ الدّكتور إحسان الدوغـــرمَه جـــي، رئـــيس مؤسّســـة حاجتيـــبه الجامعـــيّة/رئـــيس جامعة بلكِنْت في أنقرة ورئيس مجلس أمنائها، من إنشاء مؤسّسة الثقافات الدّوليّة فـــي ٨ تمّوز/يوليو ٢٠٠٢. واتُّفق على أنْ تكونَ تركـــيا، ومدينةُ اسطنبول بشكل خاصّ، مقرَّ هذه المؤسّســـة؛ على أساس أنّ تركيا تمثّلُ نقطةَ التقاء بيْـــن الشّـــرق والغرب، ومفترقَ طرقٍ للثّقافات، ومهْداً لحضاراتٍ عدّة على مدى التّاريخ.

كمـــا استُكملتْ شكليّاتُ إنشاء المؤسّسة على جميعِ المستويات في تركيا، بما في ذلك استحصالُ قرارٍ فـــي هـــذا الشّـــأن من المديريّة العامّة للمؤسّسات

التّابعة لمكتب رئيس الوزراء، ومرسومٍ من مجلس الوزراء.

تهدفُ هذه المؤسّسة إلى تعزيز الفَهم والتّفاهم بيْن شتّى الثّقافات في العالَم، وتكثيف الحوار بيْن المفكّرين والمثقّفين. وتؤدّي وظائفها عن طريق **برلمان الثّقافاتِ.**

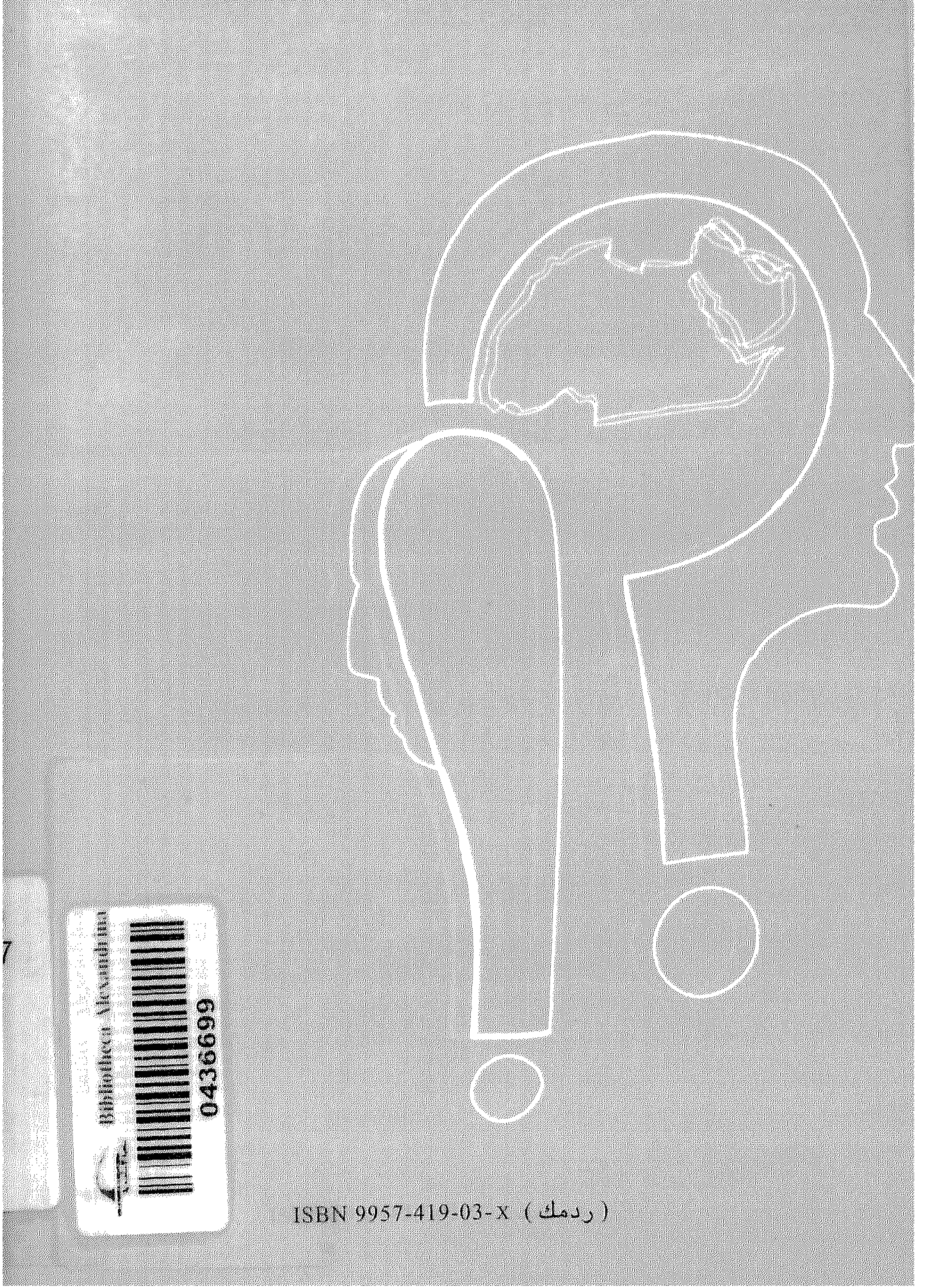
يضمّ البرلمان – إلى جانب الجمعيّة العموميّة، التي تُعدّ الأعلى منزلةً من بيْن أدواته – لجنةً دائمة، وأخرى تنفيذيّة، وثالثة للعضويّة. وهذه الأخيرة تحدّد المرشّحين لعضويّة الجمعيّة العموميّة، وتُوصي بانتسابهم إليها. ويتمّ اختيار الأعضاء وَفْقَ اعتباراتٍ جغرافيّةٍ وثقافيّةٍ ودينيّة، إلى جانب العدالة العِرقيّة (الإثنيّة). ولنْ يكونَ هنالك أيّ تمييزٍ على أساس الجُنُوسة (Gender)؛ إذ ستنهضُ المرأة بدوْرها جنباً إلى جنب الرّجل.

س٢١: تُشيرون سموّكم بيْن الحين والآخر إلى الكرسيّ الشّـــاغر العربيّ والإسلاميّ بيْن الأمم. ولا شكّ أنّكـــم أمّـــة فـــي رجل واحد؛ بمعنى أنّ عملكم الـــدّؤوب فـــي مجـــالات عـــدّة يقوم بملء هذا الشّـــاغر، ولو جُزئيًّا. من بيْن أعمالكم الجليلة لفت نظري كتابُكم الصّغير حجماً العظيم فائدةً – بأســلوبه السّهل الممتنع – "أن تكون مسلماً"، الـــذي صـــدر حـــتّى الآن باللّغة الإيطاليّة (عام ٢٠٠١) وباللّغة الفرنسيّة (٢٠٠٢). هل نطمع بطبعة إنكليزيّة في وقت قريب؟

- كتابـــي أنْ تكونَ مُسلماً مكوّنٌ من بضعِ مقابلات مـــع الصّـــحافيّ الإيطاليّ، الفرنسيّ الأصل، **آلن إلكان**. وقد صيغ على شكل سؤال وجواب. وتناول بإيجـــاز غير مخلّ الأمور الجوهريّة عن الإسلام

التي يجب أنْ يعرفها القارئ العاديّ غير المُسلم، خصوصاً في الغرب. ويبدو أنّ هذا الأسلوب تغلغل في وجدان القارئ الغربيّ ، بدليل أنّ الطبعة الإيطاليّة تصدّرت قائمة أكثر الكتب مبيعاً في إيطاليا مدّة طويلة. ولعلّ التّوقيت كان موفّقاً، لأنّ حاجة الغرب كانت ملحّة لمعرفة المزيد عن الإسلام في وقت كثُر فيه الحديث عن "الأصوليّة" الإسْلاميّة وعن "الإرهاب"، خصوصاً بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. ومعَ أنّ كتابي هذا لا يُغني أبداً القارئ الجادّ عن العودة إلى المصادر والمراجع المعتمدة إذا أراد التّعمّق في الإسلام من كلّ جوانبه، إلاّ أنّه شكّل – فيما يبدو – مدخلاً ملائماً للإسلام؛ عسى أنْ يكونَ قد ساهم في إزالة بعض مسبّبات سوء الفهم الذي يعتري هذا المجال.

ويُســـعدُني أنْ أقـــول إنّ الطبعة .الإنكليزيّة للكتاب ستصدر في غضون الأشهر القليلة القادمة. وآمل أن يكـــون ذلـــك قبل نهاية هذا العام. وهي طبعة مـــنقّحة وتحتوي على مادة إضافيّة جعلت الكتاب ضعفيْ حجم طبعته الإيطاليّة أو الفرنسيّة.



ISBN 9957-419-03-X (ردمك)